ملأ فمه فخراً

وهنا جاءت انتكاسة المنتصر، الذي تخلّى عن سلاحه وكأنه شمشون بعد أن قصّ شعره. لم يرجع بالشعر، ولكنه رجع بالفخر وبين الشعر والفخر مسافة هي المسافة ما بين الفوز والخسارة.

و (طلع عليه أمرد كشق القمر على فرسه مدججاً في سلاحه فقال ثكلتك أمك يا بشر! أإن قتلت دودة وبهيمة تملأ ما ضغيك فخراً..؟) ثم قام هذا الأمرد ووضع بشراً في حرج قاتل أمام عمّه حيث طلب منه تسليم هذا العم مقابل تأمين حياة بشر، فالتفت بشر بن عوانة إلى هذا الأمرد الطامة وسأله: (من أنت لا أم لك؟! قال الأمرد:

أنا اليوم الأسود والموت الأحمر)

ولم يجد بشر بدّاً عن المواجهة (فكرّ كل واحد منهما على صاحبه فلم يتمكن بشر منه وأمكن الغلام عشرون طعنة في كلية بشر، كلما مسّه شبا السنان حماه عن بدنه إبقاء عليه، ثم قال:

يا بشر كيف ترى؟ أليس لو أردت لأطعمتك أنياب الرمح..؟ ثم ألقى رمحه واستلّ سيفه فضرب بشراً عشرين ضربة بعرض السيف ولم يتمكن بشر من واحدة ثم قال الأمرد:

(يا بشر سلم عمّك واذهب في أمان).

هنا يستسلم بشر ويوافق على تسليم عمّه شريطة أن يكشف الفتى عن حقيقته. ولم يك هذا الأمرد (سوى ابن بشر من المرأة التي دلّته على ابنة عمه. وهنا يقول ابن عوانة بيتاً يختم به حكايته: